

هل أضاعت إسرائيل الفرصة في سوريا؟

رون بن يشاي – يديعوت أحرونوت / ترجمة: خالد خليل

منحت الحرب "الأهلية السورية" إسرائيل العديد من الفرص والاحتمالات، ابتداءً من إمكانية إسقاط الأسد، ومروراً بإنشاء علاقات مع عناصر محلية، وصولاً إلى الضربات الجوية لمنع التموضع الإيراني. الاستراتيجية الإسرائيلية كانت واضحة – ولكنها لم تنجح في تحقيق الأهداف.

"إسرائيل أخطأت عندما لم تعمل على إسقاط الأسد ونظامه عندما كان ذلك ممكناً"، هذا ما قاله وزير رفع المستوى في الحكومة الإسرائيلية. وبحسب رأي الوزير، في السنوات الخمس الأولى من الحرب الأهلية كان من الممكن القضاء على النظام الشيعي-العلوي الذي يترأسه بشار الأسد، وكان بالإمكان أيضاً بتر الذراع الرئيسية وقناة الإمداد العملياتية واللوجستية للإخطبوط الإيراني ووكلائه في المنطقة.



بشار الأسد (AFP)

ووفقاً للوزير نفسه، لو أن الحكومة الإسرائيلية قررت مساعدة الثوار السوريين غير الجهاديين وفعلت قوتها عبر قنوات سرية قبل التدخل الروسي في سوريا، لكان من الممكن أن يسقط نظام الأسد "جزار دمشق".

ولكانت النتيجة في مصلحة إسرائيل وأمنها القومي وكان وضعها الأمني في الجبهة الشمالية الشرقية (لبنان وسوريا) في مواجهة المحور الشيعي الراديكالي أفضل بكثير مما هو عليه اليوم. فسوريا بالنسبة

للقوات الموالية لإيران تعتبر وحدة عسكرية وصناعية وعلمية ولوجستية مهمة للغاية. لذلك لو أننا عملنا على إسقاط الأسد لكنا اليوم أمام نظام جديد في دمشق مدعوم من الولايات المتحدة والدول العربية المعتدلة، وكان من الممكن توقيع اتفاق سلام معه من دون التنازل عن الجولان.

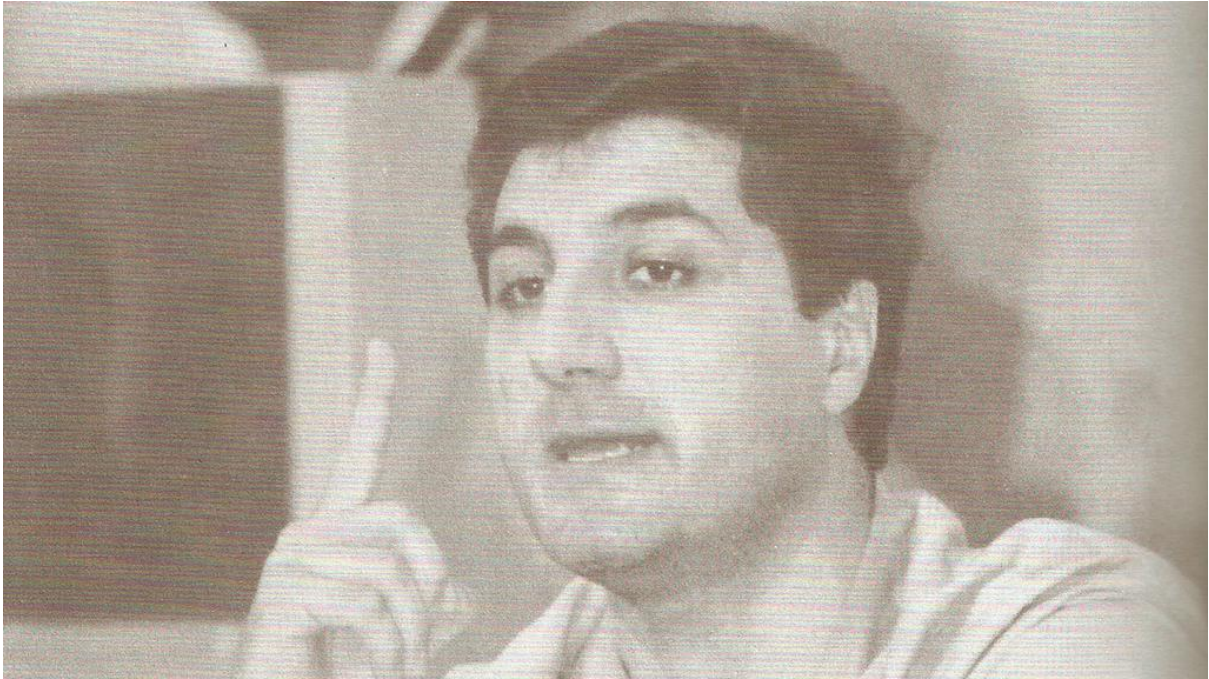
وجدير بالذكر بأن المسؤول الكبير (الوزير)، الذي يتمتع بخبرة أمنية وسياسية مؤثرة، هو من دعا وحاول إقناع القيادة الإسرائيلية للتدخل في سوريا في التوقيت المناسب والحقيقي، وذلك في المرحلة الأولى من الحرب الأهلية. كما تبني هذه الرؤية جناح يتمتع بثقل كبير في هيئة أركان الجيش الإسرائيلي يضم قادة كبار، دعموا أيضاً مبادرة إسرائيلية لإسقاط الأسد ونظامه. وفي مقابل هؤلاء كان هناك جناح لا يقل أهمية وتأثيراً عارض هذه الخطوة.



أحد عناصر "تنظيم الدولة" (داعش) في سوريا، (AP)

واستند الذين عارضوا تحركاً إسرائيلياً مباشراً للإطاحة بالأسد أو تقديم مساعدات للثوار لتحقيق هذا الهدف على حجج وتبريرات مقنعة، في مقدمتها بأنه لا يوجد ضمانات بأن البديل، سواء كان كيان أو ائتلاف منظمات وكيانات سياسية التي ستصل إلى السلطة، سيكون أقل عدائية وخطورة على إسرائيل من إيران. وعلاوة على ذلك يبدو أن البديل الجهادي الذي تصدر المشهد في سوريا خلال تلك الفترة لا يقل تهديداً من نظام آيات الله الإيراني.

كما أن تجربة حرب لبنان الأولى كان لها تأثيراً سلبياً ورادعاً في الذاكرة الإسرائيلية. وقتها بدأ آرييل شارون حرباً لطرد المسلحين الفلسطينيين من لبنان. وكان يخطط بعد طردهم (وقد حققه هذا الهدف بالفعل) لكي يسيطر حلفائنا المسيحيين بقيادة بشير جميل على دولة الأرز والتوقيع على اتفاق سلام معه. ولكن السوريون أحبطوا خطة شارون الاستراتيجية "الفذة" باستخدامهم عبوة ناسفة واحدة أودت بحياة بشير وحطمت كل الآمال الإسرائيلية. وفي نهاية الأمر سيطر حزب الله، الذي أسس بدعم إيراني كحركة مقاومة للاحتلال الإسرائيلي، على لبنان والباقي تعرفونه.



بشير جميل (صورة أرشيفية)

العبرة من التجربة اللبنانية تقول بأنه لا يمكنك امتطاء ظهر النمر في الشرق الأوسط إلا لفترة وجيزة، من دون أن تعرف إلى أين سيأخذك ومتى ستسقط. لذا فالجيش الإسرائيلي استفاد من هذا الدرس وأخذه بالحسبان وطبقه أثناء تقييم الخيارات في الساحة السورية.

في عامي 2012 و2013 عندما كانت الانتفاضة السورية في أوجها، كانت إسرائيل أمام العديد من الفرص والخيارات المتاحة لإسقاط النظام في دمشق. وقتها بدأت الساحة السورية تمتلأ بمئات الميليشيات السنية المناهضة للأسد، وكان قليل منها يعمل مع "الجيش السوري الحر"، وهو كيان تطوعي لا يملك توجهات دينية، أنشأه كبار الضباط والجنود ممن انشقوا عن الجيش السوري. ولكن سرعان ما سيطر الجهاديون واستلموا زمام الأمور ونحووا الجيش السوري الحر المعتدل جانياً.

حالة الانقسام وعدم وجود قيادة واضحة للثوار كانت تشير إلى نتيجة واحدة في حال سقوط نظام الأسد وهي الفوضى وعدم الاستقرار الذي قد يستمر لسنوات إلى ما بعد الثورة، واستمرار النزاعات الدموية الانتقامية بين الثوار أنفسهم وبين العلويين الذين حشروا في الزاوية وأجبروا على القتال لحماية حياتهم.

في ذلك التوقيت، كان خطر التهديد الإيراني لا يزال ضئيلاً، ولكن أجواء الفلتان الأمني هي التي ساعدت إلى استقطاب مقاتلين عنيفين ممن ينشطون في الأماكن المضطربة. لذا اتضح أمام إسرائيل أن التهديد الذي يمثله الجهادية العالمية المتوحشة وجماعة الإخوان المسلمين لا يقل خطورة -وربما يفوق- من منافسه الشيعي.

على الأقل هذا ما كان يبدو في ذلك الوقت، عندما لم يكن تنظيم داعش قد وصل إلى أوج قوته بعد وكان لا يزال يتبع لتنظيم القاعدة. ولكن بعد 2014 سيطر التنظيم على الأرض وفي 2015 تدخل الروس. هنا أغلقت الخيارات والفرص لإسقاط النظام لاستبداله بكيان صديق وحليف.

الفشل الأمريكي والرسالة إلى الإسرائيليين

على الرغم من وجود العديد من الجهات الدولية والإسرائيلية، مثقفون ورجال دولة وسياسيين يساريين، زعموا بأنه لا يمكن لإسرائيل أن تقف متفرجة تشاهد جارها، جزار دمشق، يذبح شعبه، ولكن حتى لو أن إسرائيل استجابت لهذه الدعوات لأسباب أخلاقية وإنسانية كان هناك أيضاً جهات دولية وإقليمية تستبعد ذلك. إيران وروسيا والصين وقفوا إلى جانب الأسد، بينما دعمت تركيا والسعودية وقطر والإمارات والأردن لمجموعات متعددة للثوار.

كل هذه الأطراف ما كان لها بأن تسمح لإسرائيل بصياغة استراتيجيتها الخاصة لما يحدث في سوريا كما ترغب، فما كان بالإمكان إلا المشي خلف سياسة الرئيس أوباما. وبالمناسبة فلقد فشلت إدارة أوباما مرتين في سوريا فشلاً ذريعاً ومخزياً. المرة الأولى عندما حاولت وكالة الاستخبارات المركزية والجيش الأمريكي تزويد الجماعات السنية وتدريبها لهزيمة النظام. والنتيجة كانت انتشار السلاح بشكل عشوائي فالسوريون أخذوا الأسلحة لأنفسهم أو بعوها ونشروها في كل مكان.



مراقبو الأمم المتحدة يجمعون الأدلة على استخدام السلاح الكيميائي (AP)

أما المرة الثانية عندما أعلن أوباما بأن واشنطن لن تقف مكتوفة الأيدي إذا تبين لها بأن الأسد يستخدم الأسلحة الكيميائية ضد مواطنيه. ولكن بعدما أثبتت وسائل إعلام دولية وإسرائيلية لأوباما بأن الجيش السوري قتل بالفعل مئات المدنيين بينهم أطفال بغاز السارين، امتنع في اللحظات الأخيرة عن اتخاذ أي إجراء عقابي ونقل الكرة إلى ملعب بوتين.

ولم يتأخر الروس في ادعاء نصر دبلوماسي مدوي عندما أجبروا الأسد على تسليم الأسلحة الكيميائية إلى هيئة دولية برعاية الأمم المتحدة. وهذا تم تدمير 95% من مخزون الترسانة الكيميائية التي بحوزة الأسد، وكذلك المواد الأساسية لصنع القنابل الغازية من مخازن الجيش. فالأسد استخدم بالفعل مرات عديدة القنابل الغازية، ولكنها أقل فتكاً وجرعات مخففة. وفي هذا السياق اكتسب بوتين مكانة دولية بارزة على حساب أوباما، ورسخ درو روسيا كقوة عالمية تعادل الولايات المتحدة.



بوتين خلال زيارة إلى سوريا في 2017 (AP)

وفضلاً عن المواطنين السوريين، كانت إسرائيل المستفيد الأكبر من تدمير الاحتياطات الهائلة من الترسانة الكيميائية السورية. الأمر الذي أعتبر إحدى الفوائد العظيمة التي حصلنا عليها من الحرب الأهلية من دون أن تسقط شعرة من رأس جندي أو مواطن إسرائيلي.

ورغم كل ما سبق إلا أن الدرس كان واضحاً: فطالما فشل الأميركي في تحركاته على الساحة السورية هذا يعني أن إسرائيل ما كانت لتنجح هي أيضاً. وهناك حجة أخرى تثار دائماً في صخب الجدل حول إجراءات الإطاحة بنظام الأسد، وهي أن من الأفضل بقاء الأسد، المعروف والضعيف، من أي كيان أو قوة أخرى أو ائتلاف قوى غير متوقعة يملأها الحماس والتعصب الديني.

خطوط إسرائيل الحمراء

بحسب التقارير، في السنوات الأولى من الحرب الأهلية في سوريا تبلورت في الجيش الإسرائيلي خطة عمل عميقة وضعتها هيئة الأركان، وعرضت نتائجها على النخبة العسكرية والسياسية. وجرى العمل عليها بسرية تامة وتبناها رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو بناء على توصيات الجهاز الأمني. ولكن مع طول أمد الحرب في سوريا مرت هذه الاستراتيجية بتعديلات بين إضافة بنود جديدة وإزالة أخرى.

وفقاً للاستراتيجية المعتمدة قررت إسرائيل عدم القيام بأي عملية أو حملة لإسقاط النظام في سوريا، وألا تتدخل استراتيجياً لقلب كفة الموازين لصالح أحد الأطراف أو اللاعبين في الحرب الأهلية في سوريا.

ولكنها وضعت خطط عسكرية واستخباراتية وسياسية يجب اتباعها لفرض الخطوط الحمراء التي أعلنتها إسرائيل كشرط أساسي لأمنها القومي، مع التأكيد على أهمية تنفيذ العمليات الهجومية بفاعلية ومن دون جر الجيش الإسرائيلي للانخراط بالحرب في سوريا أو لبنان، أي بحسب المنطق العسكري "أقل من حرب".



صورة لإحدى الضربات الإسرائيلية في سوريا (أرشيفية- EPA)

- إلا أن الخطوط الحمراء تغيرت بشكل طفيف خلال السنوات العشر الأخيرة، وفقاً لتطورات الحرب والتطورات السياسية دولياً. وهذه هي الخطوط الإسرائيلية الحمراء وفقاً لآخر التحديثات:
- إن أي انتهاك لسيادة إسرائيل أو لأمن مواطنيها سيواجه رداً مؤلماً هدفه ردع الجناة، وعلى وجه الخصوص مرسلهم أو داعمهم أو من يعطيهم غطاءً أو أرضاً للانطلاق منها.
 - منع سوريا من استخدام أسلحة غير تقليدية (كيميائية) ومنع نقل الأسلحة والوسائل القتالية من هذا النوع إلى لبنان.
 - منع أو تعطيل نقل الأسلحة النوعية (ما تسميه إسرائيل خطأً "السلاح المخل بالتوازن") من إيران إلى سوريا ولبنان، وكذلك منع وتعطيل نقل السلاح النوعي من الجيش السوري ومن الصناعات العسكرية السورية إلى لبنان. وذلك للحد من تقوية وتعزيز قدرات حزب الله أو عناصر الميليشيات الإيرانية لحماية جيش إسرائيل ومواطنيها من أي هجمات مدمرة.

- منع وتعطيل نقل منظومات الأسلحة (بشكل أساسي صواريخ أرض - جو عالية الدقة) من إيران إلى سوريا ولبنان ، التي من شأنها أن تشكل تهديداً أو خطراً يحد من حرية التحرك الجوي والتفوق الاستخباراتي لإسرائيل في الجبهة الشمالية.
- منع إقامة جبهة إيرانية ضد إسرائيل في سوريا، على غرار الجبهة التي أقامها حزب الله في لبنان بدعم إيراني.
- منع تأسيس وجود عسكري إرهابي معادٍ لإسرائيل، من الجهاديين السنة أو الشيعة ومن المرتزقة الإيرانيين، على مقربة من الحدود الإسرائيلية بطريقة تسمح لهم بتنفيذ عمليات إرهابية على الحدود أو داخلها بشكل مفاجئ.
- منع وتعطيل إقامة أو استخدام الممر البري من إيران، عبر العراق وسوريا إلى لبنان، الذي سيستخدم لزيادة الاستعدادات اللوجستية والعملياتية لإيران ومرتزقتها في الحرب ضد إسرائيل.



ضربة إسرائيلية استهدفت قافلة لنقل الأسلحة إلى لبنان عبر سوريا

فرض هذه الخطوط الحمراء يتم بوسائل حركية و"ناعمة" (على سبيل المثال السايبر)، وبشكل سري لعدم الاضطرار لتحمل المسؤولية في أغلب الحالات. وفي حال تطورت الأمور نحو الحرب عندها سيقع على عاتق الجيش الإسرائيلي مسؤولية القضاء على التوسع الإيراني.

هذه الحملة العسكرية تجري تقريباً في ساحات متعددة من الشرق الأوسط، خاصة تلك التي تتجاوز فيها إيران ومرتزقتها الخطوط الحمراء لإسرائيل. هذه العملية هي حرب أو حملة استراتيجية في حد ذاتها،

تحتفظ فيها إسرائيل بعنصر المبادرة. ويطلق عليها الجيش الإسرائيلي اسم "المعركة بين الحروب" (م ب م).

أدوية وبطانيات وأسلحة خفيفة

من ناحية أخرى، قررت إسرائيل العمل على خلق قنوات تعاون مع معارضي نظام الأسد في سوريا، وبشكل خاص في المناطق القريبة من حدودها، لتحقيق أربعة أهداف رئيسية، وهي:

الهدف الأول، لمنع وقوع أزمة إنسانية في المنطقة القريبة من الحدود، وبالتحديد منع تدفق اللاجئين من المواطنين السوريين والفلسطينيين الذين سيتجمعون على السياج الحدودي في الجولان أو في لبنان وسيطلبون اللجوء في إسرائيل. وهذا يشبه ما حدث في تركيا والأردن ولبنان حيث اصطف ملايين المدنيين السوريين الهاربين من بلادهم وخلقوا أزمة اقتصادية وصحية في البلدان التي منحتم اللجوء. فحدث مثل هذا السيناريو على حدود الجولان كان أمراً محتملاً بقوة في 2011، وخير مثال عندما اقتحم العشرات من الفلسطينيين السوريين السياج الحدودي في يوم النكبة ودخلوا إلى الأراضي الإسرائيلية.

فيديو من اليوتيوب لمسيرة العودة في يوم النكبة 2011

https://www.youtube.com/watch?v=ulpP7_BmLF8

الهدف الثاني كان لمساعدة الميليشيات المحلية عبر تقديم كميات محدودة من الأسلحة لحماية القرى والبلدات وسكانها في المناطق القريبة من الحدود الإسرائيلية من هجمات نظام الأسد وحزب الله والتنظيمات الجهادية التي تضايق السكان. والهدف من وراء ذلك منع تموضع عناصر إرهابية وعناصر الميليشيات الإيرانية بالقرب من السياج الحدودي، وتأسيس منطقة عازلة بين إسرائيل وبين القوى الظلامية المعادية لها التي لا تزال تنشط في سوريا.

ثالثاً، هناك هدف مهم سعت إسرائيل لتحقيقه من خلال تقديم الدعم لعناصر وكيانات سورية محلية لتعطيل إقامة جبهة إيرانية إضافية على الأراضي السورية ضد إسرائيل وإحباط عملياتها الإرهابية وردعها عن امتلاك عنصر المبادرة. سواء من قبل مجموعات الإسلام الجهادي السني – داعش والقاعدة (عبر جبهة النصرة)، أو من قبل الإعداء اللدودين – حزب الله والميليشيات الشيعية التي تعمل لصالح إيران.

الهدف الرابع خلق أجواء حسنة وعلاقات إيجابية ومؤثرة وإيديولوجية وسياسية مع مجموعات من الشعب السوري، والتأسيس لواقع وبنية تحتية لعلاقة تعاون مدني مع أي نظام مستقبلي سيحكم سوريا يوماً ما.



المساعدات الإنسانية من إسرائيل إلى سوريا (تصوير: المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي)



(تصوير: المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي)

كانت مساعدة القرويين في الجولان السوري وجبل الدروز ذات طابع إنساني. حيث قدمت إسرائيل خدمات علاجية مدنية لإنقاذ حياة البالغين إضافة لعلاج طبي ووقائي لإنقاذ حياة الأطفال، والأدوية والمواد الغذائية واحتياجات المعيشة الأساسية مثل البطانيات ووقود التدفئة في الشتاء، كل هذه المساعدات نقلت عبر ثلاث بوابات في السياج الحدودي.

كما شاركت ثلاث منظمات عربية مع إسرائيل في الحملة الإنسانية التي جرت على جانبي الحدود. إحدى هذه المنظمات أنشأت مستشفى ميداني كبير في الأراضي السورية فككته قوات الأسد بعد إعادة سيطرتها على محافظة القنيطرة.

ركزت المساعدات التي قدمتها إسرائيل للميليشيات السنية المحلية بشكل أساسي على تقديم العلاج لإنقاذ الحياة للعناصر المصابين بجروح خطيرة من جراء المعارك. ولهذه الغاية أنشأت إسرائيل مستشفى ميداني بالقرب من السياج الحدودي في الجولان، تلقى فيه المصابون علاجاً أولياً طارئاً من ثم يتم إجلاء معظم الحالات للاستمرار في تلقي العلاج وإعادة التأهيل في المستشفيات الإسرائيلية.



المستشفى الميداني الذي أنشأته إسرائيل على حدود الجولان (تصوير: المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي)



(تصوير: المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي)

إضافة إلى ما سبق، نقلت إسرائيل للمليشيات كميات محدودة من الأسلحة الخفيفة والوسائل القتالية لمساعدتهم في الدفاع عن أنفسهم من هجمات الأعداء المشتركين الذين حاولوا الاستيلاء على قراهم. ولكن بالغت وسائل الإعلام العربية والأميركية والبريطانية التي كشفت أمر المساعدات العسكرية الإسرائيلية المحدودة للمليشيات السنية في قرى الجولان، في تضخيم حجم هذه المساعدات ومدى تأثيرها أو عدم تأثيرها، كل وسيلة إعلام حسب أجندتها الإعلامية وبما يتوافق مع تغطيتها للحرب الأهلية في سوريا.

عمليات تسريب التقارير وكشف هذه المعلومات في معظم الأحيان يأتي كجزء من حملة دعائية يقوم بها النظام السوري بهدف نزع الشرعية وتخوين القرويين الثوار واتهامهم بـ "التعاون مع العدو الصهيوني ضد الشعب السوري". وفي الجهة المقابلة يستخدم الجهاديون والأكراد السوريين هذه التقارير لشن حرب إعلامية بهدف منع أو تقليص المساعدات الإسرائيلية لخصومهم.

مناشدة سورية لتدخل إسرائيلي

قصة الدروز فيها من الغرابة لدرجة تبدو فيها غير معقولة، حتى مع تحول سوريا إلى وكر للأفاعي فظيع بسبب الحرب الأهلية. ففي بداية الانتفاضة، كان معظم القادة الدروز يميلون إلى الجلوس على السياج، بل وأعربوا عن تعاطفهم مع جهود بقاء النظام، الذي ينتهي قاداته إلى الأقلية الشيعية العلوية.

إن القاسم المشترك بين الدروز والأقليات العرقية والدينية الأخرى في سوريا هو الخوف من الثوار السوريين، الذين تنتمي الغالبية العظمى منهم، باستثناء الأكراد، إلى التيار السني المسلم. فالدروز وأبناء الأقليات يخشون من صعود المتشددين والتنظيمات الجهادية العالمية وجماعة الإخوان المسلمين الذين يسعون للانتقام. فهؤلاء رأوا في الحرب الأهلية فرصة للانتقام من النظام البعثي وعائلة الأسد الذي ارتكب المذابح في الثمانينيات، ومن جهة أخرى لـ "تطهير" سوريا من طوائف أخرى في الإسلام ومن المسيحيين الذين يعتبرونهم كفاراً وعبدة أوثان.

ورغم ما سبق، عانى الدروز كثيراً من النظام الذي أساء إليهم أيضاً، فعلى سبيل المثال لم يستجيبوا لأوامر التجنيد التي أصدرها الأسد على شبابهم بعدما انشق الجنود والضباط السنة بالآلاف من الجيش في بداية الانتفاضة.



مظاهرة للدروز تطالب بالتدخل الإسرائيلي في سوريا

نتيجة لهذه المصالح الخفية وغير المعلنة والمتضاربة، وجد الدروز أنفسهم في وضع متناقض ومحير على جانب الطرفين المتصارعين. حتى أن عدداً من أعضاء قرية "الحضر" الدرزية ومن القرى الدرزية الأخرى في منطقة جبل الشيخ، انضموا إلى الخلايا الإرهابية التي أسسها حزب الله اللبناني في سوريا، من خلال استغلال فوضى الحرب الأهلية لتنفيذ هجمات عبر الحدود ضد إسرائيل. ومن جراء هذه الهجمات، أصيب عدد من جنود الجيش الإسرائيلي وقتل دروز.

لكن الدروز سرعان ما يتذكروا إسرائيل، عندما يقترب الجهاديون السنة أو قوات النظام ويكون هناك تهديدات بالسيطرة من قبل هؤلاء على قراهم في منطقة جبل الشيخ، وفي مرحلة لاحقة في جبل الدروز. حيث يأمل دروز سوريا في أن ينجح أخوتهم الدروز في إسرائيل، الذين يتمتعون بعلاقات قوية مع اليهود ويحظون بمناصب رفيعة في الجيش الإسرائيلي، لإقناع الحكومة الإسرائيلية والضغط عليها للتدخل عسكرياً في الحرب الأهلية، بما في ذلك إرسال قوات برية لترجيح كفة الميزان لصالحهم.

على الرغم من انضمام عدد لا يستهان به من الدروز في إسرائيل من ذوي النفوذ إلى "الحملة جعوالد*" التي يتبناها الدروز السوريين، لكن دون جدوى. إلا أن الحكومة الإسرائيلية التزمت بقرارها الاستراتيجي بعدم التدخل في الحرب الأهلية. وقرار عدم التدخل جاء بناء على توصيات الجيش الإسرائيلي من جهة، وبسبب السلوك العدائي لبعض الدروز السوريين تجاه إسرائيل من جهة أخرى، وخاصة عدم محاولة وجهاء الدروز التصدي لمنع انضمام أبنائهم لحزب الله فضلاً عن تفضيلهم العودة إلى أحضان نظام الأسد كلما سنحت لهم الفرصة.

أما القصة المختلفة فكانت مع الأكراد في سوريا، هم أيضاً أرسلوا مبعوثهم يطلبون من إسرائيل المساعدة. لكن على عكس الدروز، لم يرغب الأكراد في أن يتدخل الجيش الإسرائيلي عسكرياً لصالحهم في الحرب الأهلية، وإنما كانت مطالبهم تركز بشكل أساسي على أن يكون لإسرائيل تأثير على صانعي القرار في واشنطن لحصولهم على الدعم.

في هذه النقطة لم تبالغ وسائل الإعلام الغربية والعربية في تقدير أهمية اللوبي الذي تديره إسرائيل لدعم الأكراد والعرب الذين ثاروا وأقاموا منطقة حكم ذاتي في شمال شرق سوريا في شرق نهر الفرات البعيدة مئات الكيلومترات من الحدود الإسرائيلية.



مقاتلات ومقاتلين أكراد (رويترز)

اعتباراً من عام 2014 ، سحبت الولايات المتحدة، بتوجيهات من الرئيس أوباما، غطاءها عن "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد)، التي عمادها الرئيسي وحدات حماية الشعب الكردية (YPG)، ولكن بفضل الضغط الإسرائيلي، تراجع خلفه دونالد ترامب عن سحب القوات الأمريكية من سوريا بعدما كان قد أعلن قيامه بهذه الخطوة.

وبفضل ذلك، يسيطر الأكراد اليوم، وبمساعدة محدودة من أقل من ألف جندي أميركي، على ربع الأراضي السورية وعلى عدة جيوب استراتيجية في الأراضي التي يسيطر عليها نظام الأسد. ومن الواضح أن هذا الواقع يخدم أيضاً مصالح إسرائيل الأمنية. وبحسب تقارير إعلامية أجنبية، فإن إسرائيل أشرت هي أيضاً نفطاً رخيصاً من آبار النفط الموجودة في تلك المنطقة، والتي كان يسيطر عليها النظام سابقاً بينما يستغلها اليوم الأكراد كمصادر للدخل.

إنجازات إسرائيل وأخطائها

ما الذي حققته الاستراتيجية التي اتبعتها إسرائيل في سوريا خلال سنوات الحرب الأهلية العشر؟ من الناحية الأمنية، الجيش السوري اليوم ضعيف ومنهك، ولن يشكل تهديداً خطيراً على إسرائيل

لسنوات مقبلة، رغم أنه اكتسب خبرة قتالية وحصل على أسلحة متطورة من روسيا. ومن الناحية الاستخباراتية فقد عمقت إسرائيل من تغلغلها في سوريا. وتتمتع إسرائيل حالياً بتفوق استخباراتي في الأراضي السورية وفي الدول المجاورة، مما يعزز من قدرتها على ردع أي نوايا عدائية أو الأنشطة الاقتصادية والتخريبية السرية لإيران ووكلائها.

ولم تكتفِ إسرائيل في تعزيز قوة الردع وإنما القضاء على أي تهديد لها. ونجحت بصورة موازية في شل أنشطة العناصر الجهادية في جميع أنحاء الشرق الأوسط.



علم حزب الله إلى جانب العلم السوري في حلب (أرشيف)

ومن الأمور السلبية، التي يجب الإشارة إليها هي ما حققه حزب الله اللبناني من تجربته القتالية في سوريا في تعزيز قدراته القتالية والاستخباراتية والعملياتية الهجومية. ومن المتوقع أن تواجه إسرائيل هذه القدرات المتطورة التي اكتسبها الحزب في "حرب لبنان الثالثة"، في حال حدوثها. ولكن من جهة أخرى الحزب خسر مئات المقاتلين وآلاف الجرحى في سوريا وهذا الأمر يخفف من شهيته القتالية لخوض حروب مستقبلية.

بالإضافة إلى ذلك، عطلّ الجيش الإسرائيلي وأبطأ بشكل كبير خلال حملة "المعركة بين الحروب" حياة النظام السوري وحزب الله أسلحة عالية الجودة. كما أن موضوع إقامة جبهة إيرانية أخرى ضد إسرائيل انطلاقاً من الأراضي السورية يسير بوتيرة بطيئة أبطأ بكثير مما خطط له قاسم سليمان قبل اغتياله.

ولكن مع ذلك لم يرتدع الإيرانيون ولا يزالون يواصلون جهودهم، حيث تواصل طهران عملية تطوير دقة الصواريخ الباليستية وقد اكتسبت زخماً وبعداً خطيراً في هذا المجال، كذلك العتاد العسكري لحزب الله لا سيما الطائرات من دون طيار والمسيرات وصواريخ كروز. كما لا يزال الممر البري من طهران إلى دمشق

وبيروت نشطاً، وإن لم يكن بشكل كامل، حيث لم تنقطع عمليات نقل الأسلحة المضادة للطائرات التي تصنعها إيران إلى سوريا ولبنان، كما تسارعت عمليات السيطرة المدنية للإيرانيين داخل سوريا.



رئيس هيئة الأركان الإيراني يراقب المعارك في سوريا (AP)

من الناحية السياسية، حققت إسرائيل إنجازاً بنجاحها في التوصل إلى تنسيق ثنائي مشترك مع الروس عالي المستوى لتجنب التصادم والتصعيد مع القوات الروسية التي تحمي نظام بشار الأسد. هذا التعاون الذي يقوم على مبدأ براغماتي تبادلي "لا تضر بمصالحي وعناصري لن أضر بمصالحك"، استفادت منه إسرائيل بالشكل الأمثل حتى في أماكن ومواضيع أخرى، ولا يزال هذا التعاون والتنسيق قائماً.

لكن يجب الاعتراف بأن الوجود الروسي في سوريا يقيد بشكل كبير حرية التحرك الإسرائيلية هناك، وفي حال حدوث حرب سيتوجب علينا أخذ الحيطة والحذر بشكل مضاعف. فروسيا التي حولت الحرب الأهلية السورية إلى ميدان لتجريب صواريخها وأسلحتها الجوية، إضافة إلى أنها تقوم بتزويد الجيش السوري بأحدث المعدات القتالية، وجزء من هذه المعدات "يتدفق" إلى حزب الله في لبنان. وفي هذا السياق من المهم الإشارة إلى أن القرب الجغرافي بين إسرائيل ومنشأتها العسكرية الحساسة وبين القوات الروسية في سوريا يسمح للمخابرات الروسية ورجال بوتين بجمع معلومات استخباراتية عنا، بل وربما يقومون بعمليات هجومية سايرانية ضدنا وبسهولة.

خلاصة القول، يبدو أن استراتيجية إسرائيل في سوريا منذ اندلاع الحرب الأهلية أثبتت نفسها رغم أنها لم تحقق كل أهدافها. وأشك بأن إسرائيل كانت قادرة على تشكيل نظام في دمشق يكون مريح بالنسبة لها ويكون قادر على طرد الإيرانيين من سوريا. وأخيراً أن عرقلة الخطط الإيرانية وإرباك جدولها الزمني، من دون الانزلاق إلى حرب معها، يعد إنجازاً قيماً بما فيه الكفاية.

*جعوالد: هو تعبير يطلق في إسرائيل على الدعاية الانتخابية التي تهدف إلى غرس الشعور لدى الناخبين المحتملين بأن تصويتهم لمرشح معين أو حزب أو وجهة نظر سياسية، ملتزم بالواقع ، وبدونه ستحدث كارثة.

رابط المقال الأصلي: <https://www.ynet.co.il/news/article/BkKhJMc4O>